الكتاب المُهدى إلينا..

خضير فليح الزيدي

تُثير الكتب المهداة إلى الجميع حساسية الكاتب صاحب المطبوع الجديد اتجاه الأشخاص الذين يهملون الكتاب – الهدية وإحباط صاحب المنجز، بعد فترة من توزيعه المجاني لمطبوعه الجديد، الكاتب يُصدم مرة بعد مرة بعزوف البعض عن قراءة كتابه وحتى تذّكر عنوانه، متذرعين بالانشغال وعدم التفرغ أو كثرة ما يطبع ويوزع كهدايا، أو ربما يتذرعون بخضوع الكتاب إلى طابور القراءات المتراكمة التي ستنجز بتواريخ غيبية ضبابية وبعد سنين.

الكاتب (المسكين) يوزّع كتابه الجديد بين ثلة من القراء المفترضين كونهم قراء اصلاء قد أجهزوا على قراءة التراث الثقافي العالمي (حسب الادعاء)، وهم طبعا نخبة من الأدباء او المثقفين بصورة عامة وان تناقصت أعدادهم هذه الأيام، شاهدت البعض منهم في معقلهم اتحاد الأدباء أو في سوق المتنبي، كيف يتهافتون على اقتناء الكتب المهداة دون القراءة المتفحصة ؟ كيف يمتهن المؤلف مجانية التوزيع والإهداء السريع ؟ ترى مَنْ أرسى قواعد هذا التقليد في إهداء الكتاب المجاني، والذي يسيء الى محتوى الكتاب اصلا ؟

ربما وجدت البعض يهدي الكتاب مرتين الى نفس الشخص، دون أن يعلم بذلك، وهو دائخ بنشوة المطبوع وحالم انه سيحطم كل حواجز الإهمال والهامشية في طباعته لمنجزه الجديد، يذيله الى فلان المبدع ... مع التقدير.

إلا أن مشكلة الكتب المهداة تبدأ من خلال عدم الاهتمام المريع والمخيف من مستقبل المطبوع الثقافي، في تلك المجانية والرخص والاستسهال لتوزيع المنجز على حفنة قراء، هجروا القراءة بشكل نهائي والى الأبد، مكتفين بثقافة سمعية أو قراءة الملخصات حول الكتب المهداة.

أرى إن التقليد المتوارث في قضية الاهداءات المجانية تطيح حتما بسمعة الكاتب والكتاب معا، وتلك قضية يفترض إعادة النظر فيها من خلال المؤسسات الثقافية والأشخاص على السواء، يجب أن نلتفت الى قضية في غاية الخطورة اليوم، (نحن نعيش عصر القارئ)، الاحتفاء بالقارئ لهو حتما أفضل من الاحتفاء بالكاتب، حتى قضية حفل التوقيع فهي الأخرى أسوأ من سابقتها، إن حفل التوقيع لا يتعدى الاحتفاء بالكاتب دون الكتاب بحجة عدم الاطلاع عليه. فهو يتم على عجالة تنتهي الحفلة في تواقيع لجمهرة من (الناس) ربما البعض لا يفتح الكتاب مطلقا.

ولو افترضنا هنا أن الكاتب قام بتوزيع كتابه مقابل ثمن بسيط، في محاولة لجس نبض الشارع الثقافي وحساسيته إزاء الكتاب وثمنه الزهيد، أجد أن معظم المتجمهرين سوف ينفضون عن الكاتب والكتاب، تبتعد جمهرة المثقفين المفترضين عن حفل التوقيع الى غير رجعة، إذن المشكلة هنا في استسهال ومجانية الكتاب تلك التي انقلبت على سمعة الكتاب ومجد الكاتب المفترض.

فيما لو فجّرنا قضية أخرى في سوق الكتاب والتداول، هي لو استخدمنا الإعلام المبالغ به من مجموعة تمتهن الترويج عن كتاب ما، يقول البعض عن الكتاب المروج زيفا (انه كتاب عظيم، جدير بالقراءة، كتاب مهم) الكتاب العظيم قد نفد من الأسواق فعلا وتلك لعبة السوق الجديدة في الترويج، او الكتابة الضدية على الكاتب وخطورة تداوله او سحبه من الاسواق، وربما سيتم استنساخه في مكتبة استنساخ متخصصة، سيكون الكتاب ذا شأن بين أوساط الكتبيين (تداوليين او مروّجين او باعة) ، أما القارئ الحقيقي فهو وحده سيدرك اللعبة ويكشف زيفها او يصمت كعادته، بعد محاولته الاطلاع على أسرار المتن لذلك الكتاب في قضيته المفتعلة.

ذلك يحدث باستمرار في الثقافة العراقية وخصوصا هذه الأيام، بعد الانفجار الذي حدث في المطبوع العراقي وإعصار الطباعة وسيلها الجارف، لا يمر يوم دون أن نجد أكثر من عنوان ممدد في سوق الكتب، فالكتاب المقروء هو ذلك الكتاب الذي يثير لغطا بين أوساط القراء سواء كان اللغط مع او ضده سلبا او إيجابا، لا يهم سوى تلك الجعجعة التي ليس بالضروري أن تنتج طحنا واضح الملامح، فالمهم هو ذلك اللغط الثقافي الذي ينحت صورة الكتاب في التداول السمعي للثقافة السائدة.

أما مواضيع كشكولات وتذييلات التوقيع في صفحة الكتاب الأولى، فهي تبدأ دائما بالصديق المبدع وتنتهي بالمودة والتقدير وتلك غدت كليشة جاهزة فيها من حسن المودة والرجاء وحتى التوسل في قراءة الكتاب، الذي انزّل من قدره المؤلف الذي يحاول أن يبضّع او يوزّع كتابه في مرحلة غابت فيها مؤسسات وشركات التوزيع والنشر الحكومي المدعوم .. مع التقدير.

منطقة محررة

نجم والي

لقائي الأول مع بيريرا في برشلونة

١-٢

كلما زرت العاصمة البرتغالية لشبونة، تذكرته، وفي كل المرات تذكرت رؤيتي الأولى له وهو يصعد مدرجات شوارع لشبونة العالية بصوت مسموع، يزفر حنقاً شديداً لرجل سمين بقلب ضعيف، وحتى في تلك المرات التي ظننت أن علي التوقف عن تخيله، إذ يكفي أنني التقيت به في عام مضى، فاجأت نفسي، أو لأنني اشتقت للقائه مرة أخرى، أو كأن العاصمة البرتغالية ارتبطت به على الأقل منافسة لمواطنه العالمي صديقي بالمحنة شاعر التشاؤم فيرناندو بيسوا، أقول فاجأت نفسي بأنني التقي به من جديد في الـ "باريو آلتو" الحي العالي في المكتب الصغير، يختنق من شدة الحر البغيض، وهو يحضر وحيداً الصفحة الثقافية في صحيفته الـ "لسبوا"؛ أسمعه مرة أخرى، للمرة العاشرة أو العشرين بعدد زياراتي للمدينة التي نافس حبها عندي بغداد، في لشبونة، في بيته أسمعه يتحدث مع بورتريه زوجته المتوفية، أو أسمعه من جديد وهو يتحاور بموضوعة "الفكرة الثورية"، حيث كان يستجم في منتجع الحمامات المعدنية التي أمر الطبيب له بها مع الدكتور الشاب الذي درس في فرنسا، الدكتور كاردوزو، بالرغم من انشغال البال، بأن في داخل كل واحد منا ليس هناك روح واحدة فحسب، إنما تحالف من أرواح متعددة، وكل شيء له علاقة مع حياة الروح التي تسيطر على الأخريات وهي التي سترسم اتجاه أفكارنا وسلوكنا. الغريب هو أنني في كل تلك المرات لم أر وجهه أبداً. لأن التخيل، مهما كانت قوته، لا يستطيع اختراع ملامح دقيقة. لكن على الضد من ذلك كنت أفاجئ نفسي في كل مرة، بأنني أعرف تكوينه الجسدي وطريقته في المشي، اللياقة القديمة وحتى بعض من لباسه المغبر، مظلته، نظارتاه، حقيبته تحت الإبطين، والحقيبة القديمة التي كان يحتفظ فيها بترجماته للقصص الفرنسية وببعض الرسائل التي لا تحمل اسم مُرسل فوقها، أمر قد يسمح بتعريضه للخطر أكثر مما كان يفكر به.

كم سنة مرت على ذلك ؟ ثمانية عشر عاماً على ما أظن! عندما رأيته في ساعة استثنائية فبدل نوم القيلولة، الذي اعتدت عليه في شبه الجزيرة الإيبيرية، في البرتغال واسبانيا، قررت دخول إحدى دور العرض السينمائية في لشبونة، في ساعة معينة تكون فيه مقاعد السينما فارغة تقريباً، شبيهة بتلك الساعات التي أدمنت فيها على زيارة سينما روكسي في شارع الرشيد في بغداد، لوحدي أو بصحبة أصدقاء توزعوا لاحقاً على أراضي الشيطان الواسعة، ليس بسبب أفلام الجنس التي كانت تُعرض بلا توقف هناك، بل بسبب مكيفات التبريد التي أنقذتنا من حر وبعثية ورجال أمن بغداد، ربما هي النوستالجيا تلك التي جعلتني أدخل تلك الصالة في لشبونة، ولألتقي بالصدفة معه، مع الصديق "بيريرا"، بيريرا كما يدعي ويؤكد، والذي قدم نفسه لي، مثلما قال الكاتب النصف إيطالي والنصف برتغالي أنتونيو تابوكي . الذي قدم نفسه إليه ذات مرة، منعزلاً مع نفسه وبشوشاً على الطريقة البرتغالية. إنه شعور غريب ما أزال أتذكره حتى اللحظة هذه، كيف أنني ما أن اظلمت القاعة وانقطع سماع وقع أقدام الرواد القليلين لهذه السينمات نصف الفارغة، حتى سمعت رنين صوت كنت أعرفه مسبقاً من الكتاب "بيريرا يدعي" في نسخته الألمانية (١٩٩٤) أولاً قبل صدور ترجمته العربية بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ، صوت أحدهم يروي، برتابة وعدم ثبات، يعيد رتابة أليفة مثل صوت آلة غزل، حتى تبرز القصة من نفسها دون تدخل مصطنع لأحد، مثل ايقاع موسيقي: " يؤكد بيريرا بأنه تعرف عليه في يوم من أيام الصيف..".

تحالف الأرواح هو تحالف الوجوه والأصوات أيضاً: ما يؤكده ويحكيه بيريرا، وما يحكيه لنا حكواتي بلا أسم عما قصه بيريرا عليه، بالإضافة إلى الأصوات البرتغالية المتخيلة، والأصوات الإيطالية للفلم وللكتاب، مع الوجوه المتعددة التي هي في النهاية شكلت وجه بيريرا الذي صحيح أنني لم أره أبداً، لكنني شعرت بنفسي أتعرف مباشرة على وجه مارسيلو ماستيرياني مثلما أتعرف على هومبيرت هوبيرت في جيمس ماسون وعلى الكوميساريو مايغريت في جان غابان وبأن كل واحدة من شخصيات "الأموات" والتي قام بأدائها الممثلون الرائعون والصارمون الذين اختارهم المخرج جون هيستون في فلمه الأخير الذي كان نوعاً من الوداع المباغت للحياة وللسينما، ناهيك عن كونه مثالا تطبيقيا ونموذجيا أيضاً يرينا كيف أن الأدب الجيد يستطيع أن يظهر في السينما بصورة أكثر جودة.

أميرة العصور

محمود النمر

يا بهيّةً لا تنحني للتآمر
حين دعتكِ الآلهةُ للمجيء
كان الأجدى بكِ
ألاّ تغادري من عالم يغرقُ بالتمني
وتسرقي من نشوةً الصوتِ الذي غطّى عموم الأرض
الماسةُ السمراء
كرستالُ صوتكِ يعبرُ إلى الضفة الأخرى
يلّفها الضباب
تخفقُ بالريح
وأنتِ تحلقينً فوق موجة مزدحمة بالضوء
تناولَت قسطاً من الرجاءً نحو الروًح
أغنيةُ العصورِ مازالت تنامُ عند المهد
لا تدخلُ القصور
أغنيةُ العصورِ في الروحِ التي تعصفُ مثل الريح
في ذلك السفحِ الذي يشربُ ماء النهر
كانت تودُ أن تَرى رداءها يرقدُ في الفراش
إذ تسبقينَ قدرةَ النزوح للسماء
وتمنحين البوح.. ولا الَتردد
أو ترغبين أن تسرقي أجنحةَ النوارس
في نشوة السرّ على السرير
يا ماسةً سمراء
يا أغنيةَ العصور
كان مساءً عاثراً يلفهُ الطغيان
في صوتكِ الطاغي على المعمورة

كانت تراكيبُ النزوحِ للسماء
في موكبِ الملائكة
هنا العيونُ أمطرت لصوتكِ الأخير
تسمّرت عقاربُ الزمن
لو لم تمرّ خطوةٌ للغول
ما كانت حماقةَ المؤامرة
قد كان هذا البوحُ أنثى هربت في رغبةِ الجسد
لا تقصدي الضبابَ.. في النشوة التي عادت بلا خطيئة
لا تهربي.. لا خوفَ يمضي وحدهُ في العتمة المزدحمة
القدرةُ المهربة/ الجسدُ الذاوي/ الرعشةُ المهذبة/ النشوةُ اللعوب/ الروحُ في السكون/ اللذةُ الكبرى/ orgasm / موسيقى البوب/ الصوتُ لا تحملهُ الريحُ على هدوء/ تكسرت أجنحةُ الصوتِ على خطيئة/ لا شيء في منامك المنطفئ/ النومُ في الخراب/ فلا تكوني رغبةً للصمت/ تناثرت أوراقك المبعثرة/ لا تكتبي للصوت.. للوداع / وأنت تهربين للغياب/ لا عزاء للعيون غير الدمع/ لا رثاءَ عند الصوت/ إلاّ الصوت/ لا ريحَ تعوي مرةً أخرى بلا خطيئة/ الكرستال.. طاحَ به الزلزالُ فانكسر/ الآلهةُ تسرقُ صوتاً آخرَ/ أقسى بلا إعتبار / وتترك الجسد/ للأبديةِ قدرة التكوينِ في الأزلِ / لكنها تخاف وأد الموت !

٢٠١٢/٢/١٧

ناظم السعود في نادي الكتاب بكربلاء:

المحرر الثقافي عليه أن يكون جوالا باحثا عن المبدعين ليضعهم تحت الضوء

كربلاء / أمجد علي

يؤكد الصحفي العراقي ناظم السعود أن الصحافة الثقافية هي الغالبة على الصحافة مما ولد غيابا شبه تام للصحافة الأدبية التي تحتاج بحسب رأيه إلى محرر جوال يكتشف المواهب في المدن والقصبات ويسلط الضوء على الإبداع ويتابع حركة الأدب في بلاده وليس عليه الانتظار في المكتب لقراءة البريد القادم إليه من المبدعين.

بهذه الكلمات بدا السعود حديثه في الأمسية التي أقامها له نادي الكتاب في كربلاء والتي بدأها مقدمها الشاعر سلام محمد البناي مرحبا بالسعود الذي هو واحد من المتفانين في الطيبة، دائم التشخيص لايجابيات وسلبيات المشهد الثقافي العراقي، محب لجميع المثقفين والأدباء ؛ بطيبته وإنسانيته وحبه لمساعدة الآخرين دفع بالعشرات من الأسماء إلى عالم الإبداع الثقافي وهو يستحق أن يكون مرجعا أدبيا لكل الأجناس الأدبية والعناوين الإعلامية ، ويضيف البناي أن السعود عاش ثلاثة عقود زمنية متتالية وتمركز في قلب الحدث الثقافي يرصد ويتفحص ويحلل جزئيات المشهد وما يعتريه من مستجدات وعلل واضطرابات أعطى للثقافة العراقية الكثير لكنه لم يأخذ منها إلا القليل وما زال يجوب بعكازه مدن الوطن ، ناظم السعود أحد ابرع من عملوا في الصحافة الأدبية وأصابوا في النقد الأدبي، ولد في محافظة بابل عام ١٩٥٦ ، درس الأدب الألماني في (فينا) ووصل إلى الأزهر في مصر ليدرس هناك . عمل محررا في أكثر من ١٧ مجلة وجريدة منذ عام ١٩٧٨ ، كتب الشعر والقصة والرواية والعمود الأدبي، له مخطوطتان (سليلة الماء) و (مختارات من الأعمدة الصحفية) ، أطلقت عليه ألقاب كثيرة منها (شيخ الصحافيين الثقافيين) ، (المحرر الثقافي الأقدم) ، (الكاتب النزيه) ، (المشاكس الثقافي) وغيرها. خطابه المعلن كخطابه المضمر، صادق مع مهنته ، جريء في طرحه. كُتب الكثير عن إبداعه وألمه ، طائر يعيش في سماء أحلامه ومازال يحتفظ بكرامة مهنية امتدت لأكثر من ربع قرن ، ولو أن مصرفا يقبل إيداع الألقاب والتصنيفات في حساباته لكان من أغنى أغنياء العراق كما يقول، ثم عكف البناي على كتاب السعود الأخير (الآخرون أولا) والذي هو واحد من أسباب احتفالية نادي الكتاب والتي عدها موسوعة كبيرة تحدث فيها عن ١٢٤ شخصية ثقافية وملحقا تضمن ما كتب عن السعود من شهادات ومقالات بلغت ١٧ شهادة .

وتحدث السعود عن تجربته وكتابه وقال: أنا دائما أقدم الآخرين على نفسي ونقلت هذا المفهوم إلى الصحافة والأدب ولذلك رحت ابحث عن الطاقات المخفية وهذا جزء من عمل المحرر، وأضاف إن عمل المحرر ميداني يرمي بشباكه ليجد المواهب لا أن يكون جليس مكتبه ينتظر بريد الأدباء والمثقفين مثلما أن عمل المحرر الثقافي الثاني إسناد للنتاج الثقافي وليس كاتبا ثقافيا وهو يجاهد بالخطاب ويصحح ما يخطئ به الأديب وينتقد وينقذ ويوقف النتاج ، ويكشف السعود أن واحدة من هذه الميدانيات هي ذهابي إلى الشاعر موفق محمد وانتزعت منه قصيدته المشهورة (عبدئيل) ونشرها في حينها وأصبحت رمزا لعراقيي الحصار.

وشهدت الأمسية الكثير من المداخلات التي انصبت اغلبها على مكانة السعود في خارطة الثقافة العراقية والصحافة العراقي بما فيها الصحافة الثقافية وكتابته ومقالاته.